

مرحلة الاسرائيليين الاولى

بعد عبورهم البحر الاحمر

لخبرة الحوروي لويس ملحه كاهن الموارنة في الاسكندرية

نما لا يتارى فيه اثنان ان ما عثر ويثر عليه علماء الآثار حيناً بعد آخر من بقايا قديما الامم والشعوب الذين ورد ذكرهم في بطون الاسفار الالهية مع ذكر الاماكن التي توطنوها واستعمروها قد اجلى وما يرحم يجلي عن آيات الكتاب العزيز كثيراً من الشبهات والغوامض ولاسيما في هذه الاعصار الاخيرة لكثرة مدد البعثات والرحلات التي ياشرها الاثريون قاصدين تلك الامكنة السحيقة فطوروا بيدها واستنطقوا آثارها. ومن ثم أقبل علماء الكتاب المقدس على درس هذه الآثار والاماكن بدقّة نظر ومن اهمّ ما أخصوا بالبحث عنه الطريق الذي نهجه الاسرائيليون في البرية بعد عبورهم البحر الاحمر والمراحل التي كانوا يخلون بها مرحلة مرحلة حتى ارض الميعاد واذ قد تسنى لنا أن نتوجه منذ عهد قريب الى « عيون موسى » وهي على رأي بعضهم المرحلة الاولى التي انتهى اليها شعب الله بعد عبور البحر الاحمر فخطر لنا اذ ذلك ان نكتب مقالة في تلك المرحلة تأتي بها على زبدة ما اقتبسناه من اقوال وآراء هؤلاء العلماء على صفحات المشرق الزاهر فنقول :

انبأنا صاحب سفر الخروج (فصل ٢١٥ و ٢١٦) بسير الاسرائيليين بطرق البحر الاحمر قال : « ثم ارتحل موسى باسرائيل من بحر القلزم وخرجوا الى برية شور فساروا ثلثة ايام في البرية ولم يجدوا ماء فأفوضوا الى مارة فلم يطيعوا ان يشربوا من مائها لانه مرّ ولذلك سُميت مارة ». اما اين موقع مارة هذه ؟ فذلك امر تضاربت فيه اقوال العلماء وتباينت ولاسيما ان مفتري الكذب المقدسة كالتدريس ايرونيوس وغيره لم يرشدونا الى موقع مارة المذكورة وكذلك قديما السباح الذين جاؤوا تلك الاتهام كالتدعية سلفية او ايتيرية في القرن الرابع وانطونيوس الشهيد في الخامس لم يصفوا لنا موقع تلك المرحلة البعيدة. فشدّ علماء الاعصار الاخيرة مترهم لاكتشاف



هذا المكان ولكنهم قد اختلفوا فيما بينهم فقال فريق ان الاسرائيليين بعد ان عبوا البحر الاحمر جعلوا مرحلتهم الاولى في الموضع المعروف اليوم بميون موسى (١) وسندوا قولهم الى تقليد شاع على قولهم بين سكان تلك الجهات وانما هو قول ضيف للسند فيما يظهر. اما اولاً فلانه لا ينطبق مع نص الكتاب القائل: « ان الاسرائيليين ساروا ثلاثة ايام في البرية ولم يجدوا ماء فافضوا الى مارة » والحال ان عيون موسى لا تبعد عن سيف بحر القلزم الا مسافة قريبة فالقول بانها مارة مكان واحد لا سند له في الكتاب. اما ثانياً فلان التقليد المنتشر في تلك الجهات يصعب اثباته بالادلة الراهنة فليس هو بديل كافٍ للجزم بان الاسرائيليين جعلوا مرحلتهم الاولى في عيون موسى بعد عبور البحر الاحمر ولعلمهم مروا فقط هناك فحسبها الناس مرحلتهم الاولى

وذهب قوم الى ان « مارة » الكتاب هي المكان الذي يسمى اليوم عين « حوارة » وهو لا. فيما يذهبون اليه من الادلة ما لا يخرج من السداد فقالوا اولاً - اذا ثبت ان اجتياز الاسرائيليين البحر الاحمر كان في ضواحي مدينة السويس (٢) يجب

(١) ان عيون موسى واقعة شرقي مدينة السويس ولا تبعد عنها اكثر من اثني عشر ميلاً وهي كائنة في وسط نخيلة من النخيل وماؤها صافٍ ينبجس من الارض متدفقاً ذو طعم ملح يميل الى المرارة

(٢) تمددت اراء العلماء في مسألة تعيين الموضع الذي منه اخذ الاسرائيليون بعبور بحر القلزم. والذي عول عليه الاكثرون اليوم هو انه لما ادرك العبرانيون حدود البحر المذكور ساروا ان حلوا هناك بجوار الجبل المعروف اليوم بجبل « عناق » حيث كانت « بل صفون » على الاربع لكي يتحفظوا للسير الى برية سيناء. فبتلك فاجأهم جيوش فرعون فخافوا جداً بحيث لم يبد لهم سبيل ليلوذوا بالفرار من وجه عدوهم لان جبل عناق كان يمنهم من جهة الغرب والجنوب عن ابيازهم الصعبة مرتفاه وياه البحر الاحمر تصددهم عن بلوغ جهة الجنوب الشرقي وسركبات فرعون قطعت عليهم كل الطريقين من جهة الشمال والشمال الشرقي فصرخوا حيثئذ الى الرب فقال الرب الى موسى (خرج ف١٤ ع ١٦): « ارفع عصاك ومد يدك الى البحر نشقهُ فيدخل بنو اسرائيل في وسطه على اليبس ». فدخلوا وبدخلهم البحر من شاطئ الخليج الغربي قد اتجروا خطأ متحرفاً الى حد الشاطئ الشرقي والمظنون ان هذا الحد الذي اتقى الميود عنده هو النقطة التي يبارنها اليوم الى عيون موسى فارة فاجبل سيناء (اطلب معجم الكتاب المقدس للاب فيكورو في مادة البحر الاحمر (Vigouroux : Dictionnaire de la Bible, V, 1215 seqq)

التقليد المجمع عليه في ايماننا فتكون المسافة من ضواحي المدينة المذكورة الى عين حوارة نحو ثلاثة ايام ولا يخفى ما في ذلك من الاتفاق التام مع الكتاب الكريم حيث قال : « فاروا ثلاثة ايام في البرية ولم يجدوا ماء... فاقضوا الى مارة » . وفي سفر العدد (ف ٤٣ ع ٨) : « وارتحلوا من امام الحيروت وعبروا في وسط البحر الى البرية وساروا مسافة ثلاثة ايام في برية ايتام وتزلوا بمارة »

قالوا ثانياً - ان ما الملح اليه صاحب سفر الخروج بقوله : « ان العبرانيين ساروا في البرية ثلاثة ايام ولم يجدوا ماء » قد اثبتت اليوم اصحاب الرحلات الذين رادوا تلك القيمان الجرداء الواقعة بين البحر الاحمر وعين حوارة اذ لم يروا فيها شيئاً من الماء الا بعض اعشاب وشجيرات ذابلة وحصى سرداء تملوها الرمال الامر الذي يسهل التوفيق بين اقوالهم واقوال الكتاب بدون ادنى تكلف

قالوا ثالثاً - ان مشهد تلك الجهة البعيدة وموقع عين حوارة وخواص ماها كل ذلك مما يزيد القول بان هناك موقع « مارة » الكتاب لان العين المشاوير اليها على ما قال الاب فيكورود في الكتاب والاكتشافات الحديثة (١) هي واقعة على راس رابية صغيرة ذات تربة كلسية وقياس سطح ماها يبلغ متراً وثمانين سنتيمتراً وعمقها يناهز الستين سنتيمتراً اما طعام ماها فيختلف باختلاف الفصول لكنه لا يخلو من الحرارة ابداً حتى ان الناس لا يستطيعون ان يشربوا من هذا الماء ولا الجبال ايضاً الا اذا اشدت عليها سمار العطش

ولا يخفى بقول من زعم بان كمية الماء الموجودة في عين حوارة اليوم لا تكفي لارواء غليل الاسرائيليين ومولسيهم لانه لا بد من ان يقال ان ماء تلك العين كان اغزر في ذلك العهد بنوع انه كفى الاسرائيليين مؤونة شربهم (٢)

بقي ان نقول كلمة في الشجرة التي استعملها موسى لتحويل الماء الراب الى عذب . فقد جاء في التوراة (خروج ف ١٥ ع ٢٥) :

« فصرخ (موسى) الى الرب فهده الرب الى شجرة هناك فالتقى منها في الماء

(١) راجع كتابه : (Vigouroux : La Bible et les découvertes modernes, II, 452)

(٢) اطلب معجم الكتاب المقدس للاب فيكورود في مادة « مارة » Dictionnaire de

فصار عذبا...» ولسائل ان يسأل أفي ذلك التحويل ما يُعزى الى قوة فائقة الطبيعة او كان للشجرة المذكورة خاصة طبيعية من شأنها ان تجعل الماء المر عذبا فنقول ان بعضاً من الفيرين القدماء والسياح الذين طافوا في تلك الفلوات والمنازل كثيراً ما قصدوا الماطلة اللثام عن هذه المسألة ولكنهم لم يأتوا باقوال قاطعة يرضى بها العقل فقد روى يوسيفوس في كتاب العاديات اليهودية (١) ما نصه: « وهكذا لم يمد يطم مرسى اية ذريعة يتذرع بها وكان شاعراً ببلايا الشعب كما لو كانت بنفسه لان جميعهم كانوا ملتجئين اليه فلامهات يرجونه ايراف باولادهم والازواج بزوجاتهم وكل يستحلفه ليبحث عن مداواة شر عظيم كهذا ففى مثل هذه الحاجة الماسة صرخ الى الرب طالباً من مراحه ان يحول هذا الماء المر الى عذب فاعلمه الله بأنه يمنحه هذه المنة واذ ذلك اخذ قطعة من عود وقسمها الى قسمين وبعد ان القاها في العين قال للشعب: ان الله قد اجاب اللئس وانه سيحيل من هذا الماء كل ما هو ردي بشرط ان ينفذوا كل ما يامرهم به . فسألوه ماذا يجب عليهم عمله فامر الاشداء بينهم بان يتقوا من العين كمية وافرة من الماء مؤكدا لهم بان ما يتبعى يضحي صالحاً للشرب . ففعلوا وما لبثوا ان حصلوا على مفعول الوعد الذي وعدهم به »

ولا نعلم ايكون هذا المؤرخ قد اختلق هذه الرواية او نقلها عن تقليد ما وهما يكن من الامر فانه لم يوفقنا على جنس تلك الشجرة التي استعملها موسى اما علماء اليوم فقد ذهبوا في ذلك مذهبين فقال قوم ان في امر القاء شي من الشجرة التي اشار اليها الرب في الماء ليحوّله من مر الى عذب لآية الهية ولعلمهم استتجروا ذلك من قول يشوع بن سيراخ (ف ٣٢ ع ٥) : « اليس بعدد تحوّل الماء عذبا حتى تعرف قوت الرب »

وقال آخرون: انه طبيعي وعزوا ذلك الى خاصة طبيعية في تلك الشجرة بيد انهم قد اختلفوا في مسألة تعريفها فمنهم من سماها ادلفا (Adelpha) وهي نبات شديد المرارة ينمو في تلك الانحاء البعيدة . وقال « دون كلمات » في معجم الكتاب ان

الشرقيين يسونها « النهقة » وزعم غيرهم أنهم يصلحون المياه للذة بالفرقد (*Peganum retusum*) وهي شجرة صغيرة شائكة تنمو بقرب الميون وتشر ابان الصيف جوباً حمرًا. حارة الطعم. ولعل ذلك ما حمل بعض المحدثين ان يجماروا مرحلة الاسرائيليين الاولى عند عين جنوبي سويس على ثلاث ساعات فيها تُدعى عين الفرقد وقال فردينان دي لسبس في خطاب القاہ في ننت (Nantes) عن ترعة السويس في ٨ كانون الاول ١٨٦٦: « ان العرب كانوا يلقون في المياه نوعاً من فصية الشوك يحل ثمرًا فيلطف مرارة الماء. » وعندنا انه لا يزال في هذه المسألة غوامض واسرار لم يفتح العلم بعد مُثقلها. ولعلهُ اقرب الى اليقين ان يُقال ان الله الذي ارشد عبده موسى الى الشجرة جعل فيها ايضاً قوّة عجيبة تُخطف طعم تلك المياه الغزيرة لتكفي تلك الجماهير المجهرة وتروي غليلهم. وقد رأى الآباء في هذه الشجرة رمزاً الى صليب الرب الذي ازال بمذوبته مرارة مياه الحياة التي كان اجراها الله صافيةً من القردوس لبني البشر ليحييهم بخاءت الحطينة الاصلية وكدّرت تلك المياه وحوّلتها الى مرارة وبقيت على رونقها ريثما اعادها عود الصليب الى صفائها

رحلة مهاجر لبناني

من بيروت الى البرازيل

للاديب حبيب افندي فريجه البشلائي

سافرنا من بيروت مساء يوم الاثنين في ٢٨ حزيران سنة ١٩١٠ في باخرة فرنسية من شركة « مساجري مرتيم » قبل غروب الشمس بقليل فكان منظر لبنان وهو يغيب عن اعيننا من اجل ما تقع عليه العين والشمس ترسل آخر شعة من نورها على اعالي جباله فارسلنا معها آخر وداعنا الى كل الاهل والاجاب الذين فارقتهم

وكان عدد الركاب على ظهر الباخرة يبلغ المائتين ما عدا ركاب الدرجات الثلاث واكثرهم من حوالي الشام وجهات خردان ولم يكن اللبنانيون عدداً كبيراً